تفسير سورة الاعراف الحلقة ١١٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٢٠٤)**

**"وَأَنْصِتُوا"**

الإنصات هو السكوت مع إصغاء بمعنى عدم كفاية الاستماع عندنا سماع أو سمع وعندنا استماع وعندنا إصغاء و لكل مفردة أحكام تترتب عليها.

السماع لا يترتب عليه شيء غالبا لأنه من غير فائدة شخص يسمع من غير قصد، الفرق بين السماع والاستماع السماع هو أن يصل الصوت للأذن و يدخل في أذن الشخص ولكن من غير قصد مثلا يمر على مكان فيسمع غناء يقول له أنت لست مأثوم لأنك لم تكن قاصدا له فلا يترتب عليه فعلا لأن هذا سماع أما لو كان مستمعا بقصد فيترتب عليه اثر ويكون حرام لأنه استمع وقصد، مر على شخص يقرأ القرآن و قرأ آية السجدة فسمعها من غير قصد لا يترتب عليه وجوب السجود لأنه من غير قصد سماع أما لو استمع بقصد قصد أن يستمع تترتب عليها الأحكام و الأثر،.

**"وَأَنْصِتُوا"** الإنصات هنا أكثر من الاستماع أكثر عناية و تمعن في أخذ المعنى واستنتاج المعاني مما يستمع.

1. سبب نزول الآية أن المسلمين كانوا يتكلمون في أثناء الصلاة فنزلت الآية، يعني عندما تقام الصلاة الجماعة بعض الناس يتكلمون هنا و هنا في ذلك الوقت أما في ترتيب صلاتهم أو شخص يقدم شخص إلى غير ذلك فنزلت الآية فتنهى عن الحديث في أثناء الصلاة يستمعون للقرآن وما يقرأه الإمام والمصلين.
2. قيل إن النبي صلى الله عليه وآله كان يقرأ القرآن وكان شابا يقرأ معه بصوت عالي أيضا شخص يقول النبي يقرأ و ذاك اقرأ أيضا بصوت مرتفع ، فنزلت الآية فتنهى عن أن يقرأ بل تأمر بالاستماع و هذا أيضا قد يكون في بعض الحالات موجود الإمام يصلي شخص يصلي ثاني يرفع صوته في الذكر في القراءة هذا ليس في محله.

**و البيان**

**"وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"**

تقول الآية المطلوب عند قراءة القرآن الاستماع والإصغاء والتدبر وهذا ما يدركه كل عاقل لأن الآيات التي مرت كلها تتحدث عن آيات يعني معجزات وعن بيانات فتقول إذا استمعتم إلى القرآن فاستمعوا له بوعي بتدبر لا استماع عابر أو سماع من غير معرفة الهدف من هذه السماع والاستنتاج خصوصا أن القرآن فيه متشابه وفيه بطن وظاهر وآية يفسر بعضها بعضا فيحتاج إلى تدبر وليس سماع هكذا.

سؤال وجواب، هل الإنصات والإصغاء والاستماع في هذه الآية خاص لحالة معينة تتحدثت الآية عن حالة معينة أم لا؟

الجواب: نقل بعض المفسرين أو نقل المفسرون نقول عدة آراء في مورد تطبيق الآية :

1. قال بعض المفسرين أنها خاصة بالصلاة جماعة وكثير يميل إلى هذا الرأي و فيه روايات كثيرة يقول إنها خاصة بصلاة الجماعة إذا قرأ الإمام يجب الإنصات والاستماع له.
2. أنها خاصة بخطبة صلاة الجمعة رأي آخر يقول خاصة بخطبة صلاة الجمعة.
3. أنها عامة وتشمل جميع الأوقات والموارد في كل مورد إذا سمعت القرآن يجب أن تستمع و تصغي للقرآن.

وأورد على هذه الوجوه ردود على هذه الوجوه:

1. أنه لا يصح أن نقول أنها خاصة بخطبة الجمعة لأن السورة مكية ومكة لم تكن فيها صلاة جمعة يعني قبل الهجرة ما كان الصلاة جمعة فقطعا يقول إنها ليست خاصة بها و خطبة صلاة الجمعة صحيح أنه يجب فيها الإصغاء و لكن الآية تتحدث عن الاستماع للقرآن يعني جزء من الخطبة إذا قلنا بها مع أنه في مكة لم تكن صلاة جمعة.
2. و لأن إجماع المفسرين والعلماء بعدم وجوب الإصغاء في كل مورد هل لكل مورد؟

الجواب أنه نحن بالتسليم و إجماع العلماء أنه إذا سمعت القرآن في مكان لا يجب الإصغاء لا يقول أحد أنه كلما سمعت القرآن يجب عليك أن تصغي.

1. و لأن الواجب في الصلاة هو عدم القراءة إذا جئنا للفتوى وما يستنتجه من صحة الأحاديث والمبنية أيضا على التسليم في صلاة كما رأيتموني أصلي، يعني توارث المسلمون تلك طريقة وأن القراءة في الصلاة الجماعة تسقط ولكن لا يجب أن نصغي و ندقق في قراءة الإمام.

سؤال آخر، هل في آية الدلالة على الوجوب؟ الآية هل فيها دلالة على وجوب؟

نقول نعم، الجواب نعم، ظاهر لفظ الأمر دال على الوجوب كما هو محقق في محله في الأصول و هناك روايات منها ورد عن الإمام الصادق سلام الله عليه يقول:يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها «وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع».

بل هناك روايات تفيد وجوب الاستماع حتى من الإمام ، الإمام نفسه في صلاة الجماعة وهو يصلي جماعة إذا وجد أحد يقرأ القرآن الإمام يجب عليه أن يستمع لذلك القارئ ويذكر المفسرون قضية ابن الكواء الذي دخل على أمير المؤمنين عليه السلام وكان أمير المؤمنين في صلاته جماعة يقرأ القرآن فقرأ ابن الكواء الآية وقال اقرأ يا علي **"لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"** فسكت علي عليه السلام يستمع له إلى أن فرق فعاود علي مواصلة القرآن فعاود هو القراءة فسكت علي ثلاث مرات ثم قرأ علي عليه السلام آية أخرى وواصل قراءة القرآن في صلاته، لكن مع وجود القرائن كما قلنا و إجماع العلماء على عدم وجوب الإصغاء نستخلص أن الحكم استحبابي وإن ورد بلفظ الوجوب هنا فائدة أخرى نقولها أن هناك أمور قد ترد في لفظ الوجوب بلفظ الوجوب في الروايات ولكن ليس معناه الوجوب وقد ترد بلفظ الحرمة ولكن لا تأخذ بمعنى الحرمة السبب في ذلك هو التشديد مثلا عندما يقال لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، هنا إشارة إلى أهمية الصلاة في المسجد أو ملعون من أكل وحده أو من بات وحده أو من سافر وحده فهي لا تدل على الحرمة وإنما على شدة هذا الأمر والتدقيق فيه.

قال الفاضل السيوري في كتابه كنز العرفان:« أن المراد من الآية هو الإصغاء للآيات وإدراك مفاهيمها والإذعان لإعجازها».

يقول القرآن **"اسْتَمِعُوا لَهُ"**

يعني تفكروا وتدبروا و حققوا الهدف منه الاستماع الواعي هو الإصغاء بتدبر استمع للقران بوعي وتدبر حتى تنجز وحتى يكون هذا الاستماع منتجا و نستدل على ذلك من آيات كثيرة منها:

1. هدف القرآن الهداية و لا يكون من غير تدبر القرآن عندما أنزله الله هدفه أن يهدي الناس للخير للحق فإذا قرأته من غير تفكر ولا تدبر كنت ضالا كما يقول تعالى **"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"** الهدف منه ليتدبروا و ليتفكروا.
2. لقد ضم القرآن الكريم أيضا من لا يتدبر ومن يقرأ من غير تفكر **"فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"**

القلب الذي لا يتدبر كأنه قلب مقفول و آيات كثيرة في ذلك.

و الروايات والأحاديث أيضا تؤيد هذا الطرح و هذا الكلام وفي الختام اقرأ جزء من هذا الدعاء أو من هذه الرواية حول الدعاء في بداية قراءة القرآن، عن أبي عبد الله عليه السلام يقول:« اللهم فاجعل نظري فيه عبادة» يعني إذا أراد شخص يقرأ القرآن يستحب أن يقرأ دعاء، يقول:« اللهم فاجعل نظري فيه عبادة وقراءتي فيه فكرا وفكري فيه اعتبارا واجعلني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه واجتنب معاصيك ولا تطبع عند قراءتي على سمعي ولا تجعل على بصري غشاوة ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبر فيها».

و الحمد لله رب العالمين